مفاهيم التّحويل والتّوليد وتصوراتها عند العرب

(فخر الدّين الرّازي نموذجاً)

إعداد

حاتم رجاء اللّه الزائدي

المحاضر في قسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بالقريات

جامعة الجوف - المملكة العربية السعودية.

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الرابع (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مفاهيم التّحويل والتّوليد وتصوراتها عند العرب
(فخر الدّين الرّازي نموذجاً)

حاتم رجاء اللّه الزائدي

قسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : hatim772267@gmail.com

الملخص

يسعى هذا البحث في البداية إلى تفسير مفهوم المصطلح (التّحويلي والتّوليدي)، ومن ثم العمل على إيجاد المقابلة الدلالية لذلك في التّصور العربي.

ويأتي البحث في مستواه الأول بدراسة جذور هذه الثنائيّة، وما هو التاريخ الفعلي لظهور هذه الدراسة، ومن هو المؤسس الفعلي لها، ومن هو المطور، وماهي المراحل التي مرت بها حتى وصلت لنا بهذا الشكل، ولماذا أصبحت ثورة علمية على مثيلتها من النّظريات اللّسانية الحديثة.

ومن ثم ينطلق البحث في إيجاد الرابط لمفاهيم هذه الثنائيّة بين الحديث والقديم، وذلك من خلال تقديمها عند العلماء العرب في التراث اللُّغوي. ويطرح تساؤلًا هل كانت هذه المفاهيم متصورة لديهم، وإذا كانت موجودة بالفعل هل توافقها من حيث المفهوم والتطبيق، أم توافقها في جانب وتتنحى عنها في جانب آخر.

وفي تصور لمفاهيم هذه الثنائيّة عند العرب، نأخذ على سبيل التطبيق ما جاء عند عالم أصولي من علماء القرن السادس الهجري وهو العالم فخر الدين الرازي، وذلك من خلال أبرز مؤلفاته وهما المحصول في علم الأصول، والتفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وهل كانت هذه الثنائيّة متصورة لديه مثل سابقيه من العرب، وهل يمكن الاعتراف بها من حيث المفهوم والتطبيق أم لا.

الكلمات المفتاحية: النحو التّحويلي ، النحو التّوليدي ، الرّازي .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Concepts of transformation and generation their perceptions among the Arabs (Fakhr al-Din al-Razi as an example)

Hatim Rajaa Allah Al-Zaidi
Department of Arabic Language, College of Science and Arts in Al-Qurayyat - Al-Jouf University - Saudi Arabia.
Email: hatim772267@gmail.com

Abstract

This research seeks at the outset to explain the concept of the term (transformational and generative), and then to work on finding the semantic corresponding to that in the Arab perception.

The research comes at its first level by examining the roots of this duality, what is the actual date of the emergence of this study, who is the actual founder of it, who is the developer, and what are the stages it went through until it reached us in this way, and why it became a scientific revolution against similar modern linguistic theories.

And then the research begins to find the link between the concepts of this duality between the modern and the ancient, by presenting it to Arab scholars in the linguistic heritage. And it raises the question whether these concepts were imagined by them, and if they actually exist, did they agree with them in terms of concept and application, or do they agree on one side and relinquish them on the other.

In a visualization of the concepts of this duality among the Arabs, we take for example what came from the expert in the science of jurisprudence from the sixth century AH, the expert Fakhr al-Din al-Razi, through his most prominent works, namely the crop in the science of assets, and the great interpretation known as the keys to the unseen, and was this The duality is perceived by him like his Arab predecessors, and can it be recognized in terms of concept and application or not.

Keywords: Transformational Grammar, Generative Grammar, Al-Razi .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي يقولُ الحقَّ ويهدي إلى السبيل، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتمِ النبيين وإمامِ المرسلين، جدّد اللهُ به رسالةَ السماءِ، وأحيا ببعثتِهِ سُنَةَ الأنبياءِ، ونشرَ بدعوتِهِ آياتِ الهدايةِ، وأتمّ بها مكارمَ الأخلاق، وعلى آلهِ وأصحابِهِ أجمَعين وبعد.

يعتبر عنوان البحث: مفاهيم التّحويل والتّوليد وتصوراتها عند العرب (فخر الدّين الرّازي نموذجًا). من العناوين ذات الطابع الحيوي والمتجدد؛ وذلك بسبب ربطها الحاصل بين المفاهيم الحديثة بالقديمة، ومحاولته لإيجاد مبدأ للتوافق فيما بينها. فسوف نعمل من خلال ذلك على وضع مبادئ وأسس ننتهجها في طرحنا لفكرة هذا البحث.

<u>وتكمنُ أهميةُ هذه الدراسةِ فيما يلي:</u>

١. الإسهام في تأصيل البحث النّحوي والدّلالي العربي.
٢. تتطلَّع هذه الدراسةَ لكشف تاريخ هذه الثنائية (التحويل والتوليد)، والإفصاح عن مدى وجود التقارب لتلك المفاهيم بالتراث اللُّغوي.
٣. قد يفيدُ الباحثون من نتائج هذه الدراسة في تطوير علم النحو وعلم الدلالة مستقبلًا، وفق ما تقتضي الحاجة لذلك.

ويجدرُ بي أن أذكرَ الأسباب التي دفعتني إلى اختيارِ هذا الموضوعِ والتي تتلخصُ فيمَا يلي:

كان الاهتمام بهذه القضايا ذا أهمية كبرى في تراثِنا اللُّغوي، مما جعل لها الخاصية في تطبيق هذه المفاهيم، فدفعني ذلك جليًا إلى التفكير في مصطلحي (التّحويل والتّوليد)، وكيف يمكن وصفه لدى الرازي.

وأما عن طريقة السير والمنهج المتبع في هذه الدراسة فتتلخص فيما يلي :

تقومُ دراسةُ البحثِ على تسليطِ الضوءِ على ثنائية (التّحويل والتّوليد) بشكل عام، وذلك من خلالِ استعراضِ تاريخ ظهور هذه الدراسة، ومن ثم العمل على إيجاد مبدأ للتوافق بينها وبين الدّراسات العربيّة القديمة كمنهج مقارن، نخصص من خلاله ما جاء عند فخر الدين الرازي حول هذه الثنائية.

وتكمن الإشكالاتُ المركزيةُ والأسئلةُ المُحوريةُ التي تسعى الدراسة للإجابةِ عنها ما يلي:

١.تفسير مفهومي (التّحويل والتّوليد) وما يقابلها من المصطلحات العربية.

٢.متى ظهرت هذه الثنائية (التّحويلية والتّوليدية)، وما المراحل التي مرت بها حتى اكتملت.

٣.كان علماؤنا في التراث اللُّغوي على قدر عالي من الاهتمام بتصور هذه الثنائيَّة.

٤.ما مدى مطابقة مصطلح (التّحويل) لمفاهيم الرازي.

٥.ما مدى مطابقة مصطلح (التّوليد) لمفاهيم الرازي.

وهذهِ المطارحات هي الغايةُ "الإشكالية" لهذا البحث؛ ومن البديهِي أن أي بحثٍ لابد وأن تكون له غايةٌ إشكالية يسعى لحلِها، أو الإجابةِ على ما تطرحُه تلك الإشكالات.

هيكلة البحث:

جاء تقسيم البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة للموضوع.

وجاء في التمهيد: تفسير لمفهوم المصطلح (التّحويلي والتّوليدي) وما يقابلها في الدلالة العربية.

وفي المبحث الأول: تاريخ ظهور النّحو (التّحويلي والتّوليدي).

وفي المبحث الثاني: مفاهيم هذه الثنائية عند علماء العربية في التراث اللُّغوي.

وفي المبحث الثالث: مفاهيم هذه الثنائية عند الرازي من خلال المحصول والتفسير الكبير.

الخاتمة: جاءت بذكر أهم النتائج التي توصل لها هذا البحث.

أبرز المصنَّفات العربية الحديثة ذات الطابع التحويلي والتوليدي:

لقد ظهرت عن انتقال الدراسات الغربية إلى ساحة الثقافة العربية عدَّةُ محاولات جادَّة لتطبيق هذا الاتجاه على النحو العربي الحديث والدّراسات اللُّغوية، أذكر من هذه المصنفات والمحاولات على سبيل المثال:

- داود عبده عطية، البنية الداخلية للجملة الفعلية في اللغة العربية، بحث منشور، مجلة الأبحاث، العدد الثالث، الجامعة الأمريكية، بيروت–لبنان: ١٩٨٣م.
- خليل أحمد عمايرة، رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية، بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثامن، الكويت: ١٩٨٣م.
- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، دار المعرفة للنشر والتوزيع، جدة–المملكة العربية السعودية: ١٩٨٤.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، الدار البيضاء–المغرب: ١٩٨٥م.
- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية–الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان: ١٩٨٦م.
- مازن الواعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية، دار طلاس، دمشق–سوريا: ١٩٨٧م.
- حمادي فاطمة، النحو العربي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، مجلة جسور المعرفة، المجلد السادس، العدد الثالث، ٢٠٢٠/٩/١٤م.

التـمهيـد:

تعد مفاهيم التّحويل والتّوليد من المفاهيم الحديثة، إلا أن لها تقابلات دلالية مع المصطلحات العربية، فماذا عن المفاهيم أولًا:

مفهوم التّحويل: هو أن تكون المعاني كامنة في الذهن (البنيّة العميقة)، فتتحول تلك المعاني بحسب الحاجة والرغبة إلى ألفاظ يعبر بها؛ وهذه تسمى (البنيّة السطحية). بمعنى أننا حولنا الكلام المعنوي الكامن في النفس، إلى كلام منطوق معبر عنه بالرموز اللُّغوية، ولهذا سمي بالتحويلي.

مفهوم التّوليد: هو أن تتصرف في الكلمات أو الألفاظ أو الأصوات، تقديماً، وتأخيراً، وإعراباً، ورتبةً، لتولد جملًا غير متناهية، مثل: ذهب محمد إلى المدرسة – محمد ذاهب إلى المدرسة – إلى المدرسة ذاهبٌ محمد.

التقابلات الدلالية مع المصطلحات العربية:

يعد أقرب مصطلح عربي لمفهوم (البنيّة السطحية) هو مصطلح الدال؛ فالدَّال: هو الصُّورة اللَّفظية لأيّ لُغة، سَواء أكانت مَنطُوقة أم مَكتُوبة.

ويعد أقرب مصطلح عربي لمفهوم (البنيّة العميقة) هو مصطلح المدلول؛ فالمدلُول: هو الصُّورة العقليَّة الكَامِنة في الذِّهن، والتي يُسخر من أجلها ذلك الدَّال.

وانطلاقًا من هذا نَتبيَّن مَدى العَلاقة الحَاصلة بين الدَّال (البنيّة السّطحية)، والمدلُول (البنيّة العميقة). فهذا كان تمثيل عام حول مفهوم التّحويل.

أما ما يخص مفهوم التّوليد: فالمراجع العربية تعج بهذا التطبيق؛ ففي أبواب كثيرة ذكر العرب أنهم يغيِّرون في كلامهم بوسائل شتَّى، منها: الحذف، والتقديم، والتأخير، والاعتراض (الفصل)، والاختصار، والإيجاز، والاتساع، والزيادة، وما إلى ذلك من الخصائص.

المبحث الأول: تاريخ ظهور النّحو (التّحويلي والتّوليدي).

تعددت المناهج والاتجاهات اللُّغوية في القرن العشرين بظهور دروس اللسانيات الحديثة، الذي نهج أُسسها واعتمد مبادئها العالم السويسري فرديناند سوسير، وما إن لبثت حتى تطورت تلك الدراسات في النصف الثاني من القرن نفسه، وأنتجت لنا الكثير من المفاهيم والآراء المختلفة، فظهر (المنهج الوصفي) الذي يعنى بدراسة اللُّغة أو اللهجة عن طريق الوصف الدقيق لأصواتها ومقاطعها، وأبنيتها الصرفية، وتراكيبها النحوية، التي تعبر عن مجموعة من المعاني المختلفة، ودلالة ألفاظها في ضوء العلاقات السياقية داخل النص.

وظل المنهج الوصفي مسيطرًا على الدرس اللساني الحديث إلى أن ظهر ما يسمى بالنحو (التحويلي التوليدي)، للفيلسوف الأمريكي أفرام نعوم تشومسكي، فاللغة في رأيه ظاهرة بالِغة التعقيد، ودراساتها تقتضي دراسة القضايا المرتبطة بها الصوتية، والصرفية، والدلالية، "فاللغة في كنف هذا المنهج عملية إبداعية حيوية"(١).

ويرى أصحاب هذه الاتجاه بأن اللغة عبارة عن مجموعة مكونه من المعاني التي تختلف باختلاف النسق بين مفرداتها، فلا تهتم هذه المدرسة بالجانب المادي البنيوي للغة كما فعل سوسير، بل تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك من التوليد والانتاج للجمل اللانهائي.

(١) مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، ٥.

وأيضاً تشومسكي جاء بثورة على المدرسة السلوكية بقيادة "بلومفليد". الذي يقول بأن اللغة عبارة عن سلوك مبني على الإثارة والاستجابة. بعكس تشومسكي الذي وصف اللُّغة بأنها صناعة العقل.

•سؤال: ما الفرق بين مفهوم العقل عند تشومسكي ومفهوم السلوك لدى بلومفليد؟

الاستجابة السلوكية تشمل الإنسان وغير الإنسان، فالحيوان أيضاً لديه استجابة سلوكية. لذلك ركز تشومسكي على مفهوم العقل، فالإنسان يولد من عقله معان غير متناهية، قال الله سبحانه وتعالى في سورة الرحمن: (الرَّحْمَنُ(١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ).

نشأتها ومؤسسها:

تنسب فكرة التحويل إلى العالم اللُّغوي الأمريكي (هاريس) في العام ١٩٠٩م صاحب نظرية التحليل التوزيعي، إذ خطا بالتحليل التوزيعي خطوة أخرى إلى التحليل التحويلي، وبذلك مهَّد الطريق إلى ظهور (النحو التحويلي التوليدي) على يدي تلميذه (تشومسكي) مع الإشارة إلى اختلاف مفهوم التحويل عند كل من (هاريس) و(تشومسكي).

ظهرت النظرية التوليدية التحويلية عام ١٩٥٧م في الولايات المتحدة الأمريكية. على يد تشومسكي الذي بلّور أفكارها في كتابه (البنى التركيبية). وركز فيها على قواعد التوليد والتحويل في الجمل؛ لهذا سميت: بالنظرية التوليدية التحويلية.

مرت هذه النظرية بثلاث مراحل[١]:

١.من خلال كتاب تشومسكي (البنى التركيبية) عام ١٩٥٧م، وهي مرحلة انتقاد المنهج الوصفي، مرحلة الانتقال من الوصف إلى التفسير.

٢.من خلال كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) عام ١٩٦٥م، وفيه تفصيل للأفكار التي أجملها في كتابه الأول:

أ- التفريق بين الكفاية والأداء الكلامي.

ب- التفريق بين البنية العميقة وبين البنية السطحية في الجملة.

ج- إدراج المكون الدلالي في مكونات الجملة.

٣.من خلال كتاب دراسة الدلالة في القواعد التوليدية عام ١٩٧٢م، وفيه الاعتماد في التحليل الدلالي على البنيتين العميقة والسطحية معا دون الاعتماد على العميقة فقط، وفيه التقليل من الإسراف في استخدام القوانين التحويلية.

فدائماً ما يعتمد المنهج التّحويلي التّوليدي على ثنائيات البنية اللُّغوية والتي تتشكل في: (البنيّة العميقة الذهنية)، و (البنيّة السطحية المنطوقة). فالبنيّة العميقة[٢]: هي الأساس الذهني لمعنى معين، يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي، يكون هذا التركيب رمزًا لذلك المعنى وتجسيدًا له. والبنيّة السطحية: الكلام المنطوق المرتبط ارتباطًا وثيقا بالقواعد التحويلية في اللغة بانتظام الكلمات في جمل، وهي مرحلة تجسيد البنيّة والمعاني العميقة. ومن خلال هذه النظرية ميز تشومسكي بين مصطلحات أهمها:

(١) ينظر: عمر دومي، قواعد النحو التحويلي بين نعوم تشومسكي والنحو العربي، ١٠.
(٢) ينظر: خليل عمايرة، نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، ٥٨.

ثنائية الكفاية والأداء:

الكفاية عند تشومسكي تكمن في معرفة المتكلم للغته، والأداء هو الإنجاز الكلامي وهو ما ينتج عن هذه المعرفة من كلام متحقق في مواقف ملموسة، فالكفاية اللغوية هي الصورة المفترضة للأشياء أو التراكيب الممكنة من مجموعة من الكلم، والأداء هو الواقع الاستعمالي، بمعنى آخر: ما يصح استعماله من تلك التراكيب والجمل النحوية.

ويرى تشومسكي بأن النظرية النحوية نظرية علميَّة يمكن تطبيقها على جميع اللغات الطبيعية؛ لأن النحو نظام مكون من القواعد والمبادئ، فالنحو هو الأساس الرصين الذي تبنى عليه هذه النظرية. فإنَّ مفهومي الكفاية والأداء عند تشومسكي، يرتبطان بمفهومي اللغة والكلام عند دي سوسير الذي يقول بأن اللغة: هي الكتلة من المادة، أو قائمة من المفردات التي ينتقي منها الشخص الكلام، ولكن تشومسكي رفض تلك الفكرة عند سوسير، وذهب إلى التمييز بين "الكفاية" التي تتمثل في المعرفة الضمنية اللُّغوية الباطنية للفرد؛ أي مجموعة القواعد التي تعلَّمها، و"الأداء" هو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية[١].

(١) ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات: النشأة والتطور، ٢١٠-٢١١. وينظر: عبده راجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ١٢٣- ١٢٤. وينظر: خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ٥٤- ٦٩. وينظر: سليمان العايد، توظيف الكفاية والأداء في تدريس النحو العربي، ٤-٦.

نبذة عنها:

تعد هذه النظرية نظرية نحوية حديثة، ترى بأن القدرة اللُّغوية عنصر فطري يولد الإنسان مزودًا به. فقد تأثر تشومسكي بسابقيه أمثال "ديكارت وهامبولت" ذوي النزعة العقلية. إذ ينظر إلى اللغة بأنها قابعة في الذهن البشري على شكل نظام و مجموعة من العلامات و الرموز، تتميز بخصائص صوتية و تركيبية و دلالية. فهذه النظرية تنظر إلى اللغة بأنها قائمة في العقل، فهي مجموعة غير متناهية من تكوين الجمل في شكل نظام يميز الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية لمجموعة غير متناهية من الجمل المحتملة(١).

كان لتشومسكي دور الريادة في وضع الصياغة الشكلية للغات الطبيعية من خلال وضع الصيغة النّهائية لنظريته التوليدية التحويلية الذي يرى "أن اللُّغة ليست ارتباطًا شرطيًا كما هو الحال عند الحيوان، ولكن للغة قدرة إبداعية أو قدرة غير محدودة(٢)، وأنّه لابد للنّظرية النّحوية أن تعكس قدرة جميع المتكلمين بلغة ما على التحكم في إنتاج وفهم جمل لم يسمعوا بها قط من قبل"(٣).

تعد نظرية تشومسكي التحويلية بلا شك أكثر النظريات اللُّغوية حيوية وتأثيرًا بحيث لا يستطيع أي عالم لغوي أن يتجاهل هذه النّظرية، بل قد أصبحت كل مدرسة لغوية الآن تحدّد موقفها بالنظر إلى آراء " تشومسكي" اللُّغوية، الأمر الذي جعل "تشومسكي" يحتل مكانة فريدة في علم اللُّغة

(١) ينظر: مصطفى غلفان، في طبيعة اللسانيات العامة: أوليات منهجية، ٩٥.
(٢) عمر دومي، قواعد النحو التحويلي بين نعوم تشومسكي والنحو العربي، ٦.
(٣) عمر دومي، قواعد النحو التحويلي بين نعوم تشومسكي والنحو العربي، ١٠.

المعاصر، لم يتمتع بها أحد من قبل في تاريخ هذا العلم[١]. وهذه النظرية تبحث في خصائص اللُّغات البشرية؛ لتحديد المميزات المشتركة في التفكير الإنساني، باعتبار أن كل الناس يمكنهم جميعًا إدراك نظام لغوي مجرد يصدرون عنه الاستعمال المتجدد. ذكر الدكتور حماسة عبد اللطيف: "أن الأساس النظري التي انطلقت منه هذه النظرية يقوم على مبدأ يقرر أن مهمة الوصف اللُّغوي هو أن يحدد القواعد التي تربط ما بين الأصوات الكلامية ومعانيها الدلالية... وبعبارة أكثر اختصارًا أن يفسر لغة المتكلم..."[٢].

(١) ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، ٢٩.

(٢) حماسة عبد اللطيف، الأنماط التحويلية في النحو العربي، ١٤.

المبحث الثاني: مفاهيم هذه الثنائية عند علمائنا في التراث اللُّغوي.

لقد أبان علماؤنا في عصور الازدهار عن كفاية نادِرة في مجال اللُّغة، وبرز منهم عددٌ هائل تركوا لنا تراثًا لا يزال بحاجة إلى الدِّراسة والتمحيص. فالبيئة اللُّغوية تعتبر ذات صِفات خَاصَّة ومُميزات مُختلفة، فهي من تُهيئ الأُطر العامَّة لتَكوين الحدث اللُّغوي وفق الأعراف اللُّغوية المتَواضع عليها والمؤسَس لها من قبل نَاطقيها، لتُحقق بذلك غَرض وفَحوى الرِّسالة الكلاميَّة التَي عَناها العَانِي، واستَقبلَهَا وأدركَها مِن جِهة أُخرى المتَلقِي. فالغرض من الكلام "تأدية المعنى، وكل كلام لامعنى له فلا فائدة للسامع منه والمتكلم به. وكل معنى لا يمكن أن يعبر عنه بلفظ ما في لغة ما، فلا سبيل إلى معرفته"(١).

فالتّخصيص العَام حَول مفهُوم (التّحويل) هو الإبَانة؛ فالإبانة هي وسِيلة إفصَاح المعَاني وما تَختلِجُها في النَّفس من تَصورات، يقول ابن جني في حَد اللُّغة: "هي أصوَات يُعبر بِها كُل قَوم عَن أغرَاضِهم"(٢). ويقول الزجاجي: "إنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما جعلَ الكلامَ ليُعبِر بهِ العبادُ عمَّا هجسَ في نفوسهم، وخاطبَ بهِ بعضُهم بعضًا بما في ضمائرِهم ممَّا لا يُوقفُ عليه بإشارةٍ ولا إيماءٍ ولا رمزٍ بحاجبٍ ولا حيلةٍ من الحِيل"(٣). وانطلاقًا من هذا نَتبيَّن مَدى العَلاقة الحَاصلة بين الدَّال (البنيّة السّطحية) والمدلُول (البنيّة العميقة). فالدَّال هو الصُّورة اللَّفظية لأيّ لُغة، سَواء أكانت مَنطُوقة أم

(١) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ١٠٩/٣.
(٢) ابن جني، الخصائص، ٣٤/١.
(٣) أبي القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ٤٢.

مَكتُوبة، والمدلُول هو الصُّورة العقليَّة الكَامِنة في الـذِّهن، والتـي يُسـخر من أجلها ذلك الدَّال.

فلو أخذنا على سبيل المثال لفظة "القلم" فما أن ننطـق بهـذا اللَّفـظ أو نسمعه حتّى تحصل في الذهن صورة مفترضة للقلم، بغضّ النظـر عـن نوعه وشكله ولونه أو قيمته. وفي المقابل وبالنسبة إلى المتكلّم ما أن يفكّر في استعمال كلمة "القلم" حتى يجري على لسانه طبيعيًّا. ولو غيّرنا من باب الافتراض أحد حروف هذا الدليل، نحو أن نقول عوض عن "القلـم-العلـم" مثلاً، بتغيير القاف عينًا، أو "القسم" بتغيير اللام سينًا، فسوف تتغيّر الصورة الراسخة في الذهن، ونتحوّل من مجال دلاليّ إلى آخر(١).

فالألفاظ هي الدّالة على المعاني، وهذه المعاني قائمـة فـي صـدور النَّاس، يقول الجاحظ في إشارة إلى الألفاظ: "هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني"(٢)، وهذا دليل على أن الألفاظ وضعت للمعـاني، والمعـاني عنـد الجاحظ هي "القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والـمُتخلِجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورةٌ خفيَّة"(٣). يقول الشاعر:

لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أَثِيرٍ لَفْظُـهُ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِـيلَا
إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا

(١) أ.د. عبدالحميد النوري عبدالواحد، الدال والمدلول، مقال منشور في شبكة الألوكة الأدبية واللّغوية، ٢٠١٨/٤/٢٤م.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٨٢/١.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٨١/١.

فهذا كان عرضًا شاملًا لما يخص جانب (التحويل) عند علماء العرب.

أما ما يخص مفهوم (التّوليد) فالكلام حوله يطول، ولكن نختصر منه ما يهمنا في هذا الجانب. فالمفهوم العام لدور التوليد هو دراسة السياق الذي يقوم برصد أداء الكلمة التعبيري من خلال النص الذي وردت فيه، وينفي عنها المعنى المعجمي المفرد التي جاءت به، فبالتالي هناك تعدد مختلف لمعاني الكلمة الواحدة، فلها معنى معجمي أساسي، ولها معنى ثانوي مكتسب؛ وهذا المعنى يظهر من خلال تعدد الاستعمالات والسياقات المختلفة، وعليه يمكن تعريف السياق اللُّغوي أو المقالي بأنه: "البيئة اللُّغوية التي تحيط بصوت، أو فونيم، أو مورفيم، أو كلمة، أو عبارة، أو جملة"(١).

فمهوم التوليد أصل من أصول الدراسات اللُّغوية، وهو من تقوم عليه مبادئ تعاليم اللُّغة، والتي تناولها مجموعة كبيرة من العلماء على مختلف أطيافهم. فكلام العرب كما يصفه أبو بكر الأنباري: "يصحح بعضه بعضًا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه"(٢).

وفي تتبعنا لرصد أهمية هذه الخصائص؛ نجد أن عبد القاهر الجرجاني أكثر من تناولها إيضاحًا، وأن نظرية (النَّظم) قائمة في أساسها على رصد مفاهيم التوليد. يقول الجرجاني موضحًا ذلك: "اعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما

(١) محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ١٥٦.
(٢) أبو بكر الأنباري، الأضداد، ٢/١.

لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"[١]. ويقول في موضع آخر: "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعًا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة"[٢]. فالألفاظ عنده لا يظهر معناها مقطوعًا عن غيرها، بل ينسب الأمر فيها لأهميتها داخل المنظومة السياقية، والتي قال من خلالها: "وجملة الأمر أنا لا نوجب "الفصاحة" للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لفظها موصولة بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها"[٣].

إلا أن العرب تذهب أن لكل جملة معنى لا تؤديه جملة أخرى، وهذا ما جاء به الجرجاني بقوله: "واعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحدًا، فأما إذا تغير النَّظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى، على ما مضى من البيان في (مسائل التقديم والتأخير)"[٤]. ويكمل لنا الجرجاني تفسيره حول هذه المفاهيم بقوله: "وليس يتصور مثل ذلك في الكلام، لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر، أو فصل من النثر، فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصفته بعبارة أخرى، حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك، لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور. ولا يغرنك قول الناس: "قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه"، فإنه تسامح منهم، والمراد أنه أدى الغرض، فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١/٥٥.
(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١/٤١٢.
(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١/٤٠٢.
(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١/٢٦٥.

الذي يكون عليه في كلام الأول، حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك، وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين، ففي غاية الإحالة، وظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة، وهي أن تكون الألفاظ مختلفة المعاني إذا فرقت، ومتفقتها إذا جمعت وألف منها كلام"[١]. وهذا الذي جعل للغة العربية المكانة العالية والميزة التي تتميز بها عن باقي اللُّغات.

ونختم الحديث حول هذه المفاهيم عند ابن تيمية، الذي جاء في كتابه مقدمة في أصول التفسير بما رواه أبو عبيد والذي قال: "حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبيد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه؛ قال: إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[٢]. فهذه دلالة واضحة وصريحة على أهمية دور السياق في توجيه المعنى، وأنه لا يطلق كيفما شاء وكيفما اتفق.

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٢٦١/١.
(٢) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ٤٩/١.

المبحث الثالث: مفاهيم هذه الثنائية عند الرازي.

عند النظر في المنهج اللفظي الذي تناوله الرازي في محصوله وتفسيره نجد أنه منهج متكامل من حيث الطرح والموضوعية، فجاءت مفاهيم (التحويل) عنده في حكمة اختيار الألفاظ للمعاني دون غيرها من الكتابة، والإشارة، والحركة بسائر الأعضاء، يقول الرازي: "أن الإنسان خلق بحيث لا يستقل بتحصيل جميع مهماته، فاحتاج إلى أن يعرف غيره ما في ضميره ليمكنه التوسل به إلى الاستعانة بالغير، ولا بد لذلك التعريف من طريق، والطرق كثيرة مثل الكتابة، والإشارة، والتصفيق باليد، والحركة بسائر الأعضاء. إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف ما في القلوب والضمائر بهذه الألفاظ"(١). فهذه إشارة واضحة وصريحه لمفهوم التحويل.

ونلاحظ أن الإمام فخر الدين الرازي في تصوره لمفهوم (التحويل) سار على خُطى الإمام أبو حامد الغزالي، الذي سبقه في طرحه لهذه التصورات. جاء في كتاب "معيار العلم" للغزالي في فصلٍ عقده لبيان رتبة الألفاظ من حيث مراتب الوجود: "اعلم أن المراتب فيما نقصده أربعة، واللفظ في الرتبة الثالثة، فإن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"(٢).

أما الرازي فقد أجاب من خلال ذلك بأن: "للألفاظ دلالات على ما في الأذهان، لا على ما في الأعيان، ولهذا السبب يقال: الألفاظ تدل على

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، ٣٩/١.

(٢) الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، ٧٥/١.

المعاني؛ لأن المعاني هي التي عناها العاني، وهي أمور ذهنيه"[١]. ووجه الاستدلال على ذلك "أنا إذا رأينا جسما من البعد وظنناه صخرة قلنا إنه صخرة، فإذا قربنا منه وشاهدنا حركته وظنناه طيرًا قلنا إنه طير، فإذا ازداد القرب علمنا أنه إنسان فقلنا إنه إنسان، فاختلاف الأسماء عند اختلاف التصورات الذهنية يدل على أن مدلول الألفاظ هو الصور الذهنية لا الأعيان الخارجة"[٢]. قال الإمام الراغب الأصفهاني بالنسبة لوضع الألفاظ: "إن معرفة الأسماء لا تحصل إلا بمعرفة المسمَّى وحصول صورته في الضمير"[٣]. فنجد أن الرازي في تصوره لمفهوم (التحويل) قد استوفى متطلباته، من خلال إبراز دور الألفاظ في تبيان المعاني الذهنية.

أما ما يخص مفهوم (التّوليد) فيعد التوليد جزءًا مهمًا ومكملًا لما جاء به الرازي حول دراسته اللفظية. فبدأ الحديث فيه حول أهمية السياق، وأن السياق أصل مهم لتكامل اللُّغات، جاء في المحصول: "ليس الغرض من وضع اللُّغات أن تفاد بالألفاظ المفردة معانيها...، بل الغرض من وضع الألفاظ المفردة لمسمياتها تمكين الإنسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات، بواسطة تركيب تلك الألفاظ المفردة"[٤]. وتابع الرازي حديثه حول مفاهيم السياق بما فنده للألفاظ المفردة؛ وذلك في أنها وضعت للدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية، عندما قال: "وأما في المركبات فلأنك إذا قلت: قام زيد، فهذا الكلام لا يفيد قيام زيد، وإنما يفيد أنك حكمت بقيام زيد، وأخبرت عنه. ثم إن عرفنا أن ذلك الحكم مبرءٌ عن الخطأ، فحينئذ

(١) الرازي، التفسير الكبير، ٣٧/١.
(٢) الرازي، التفسير الكبير، ٣٧/١.
(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، كتاب السين، لفظ (سما).
(٤) فخر الدين الرازي، المحصول في علم الأصول، ١٩٨/١-١٩٩.

نستدل به على الوجود الخارجي، فأما أن يكون اللفظ دالا على ما في الخارج فلا، والله أعلم"(١).

ويجب أن ننوه بأن مسائل التقديم والتأخير من المسائل المهمة التي تناولها الرازي في مؤلفاته، والتي نهج فيها منهج العرب الذين من قبله؛ وهو أن لكل تقديم وتأخير غرض، وأنه لا يبنى النسق اللُّغوي كيفما شاء وكيفما اتفق، ومن هذه الأغراض(٢).

١.التعظيم: قال تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) [الأنعام/١٠٠]. معناه: وجعلوا الجن شركاء لله. فإن قيل: فما الفائدة في التقديم؟ قلنا: قال سيبويه: إنهم يقدمون الأهم الذي هم بشأنه أعنى، فالفائدة في هذا التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك سواء كان ملكًا أو جنيًا أو إنسيًا أو غير ذلك. فهذا هو السبب في تقديم اسم الله على الشركاء"(٣).

٢.التقديم في الدرجة: قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) [الأحزاب: ٥٦]. يقول الرازي: "التقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة، ويدل عليه أن تقديم الأدون على الأشرف في الذكر قبيح عرفًا، فوجب أن يكون قبيحًا شرعًا، أما أنه قبيح عرفًا فلأن الشاعر قال: عميرة ودع إن تجهزت غاديًا ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا

قال عمر بن الخطاب: لو قدمت السلام لأجزتك. ولأنهم لما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقع التنازع في

(١) الرازي، المحصول، ٢٠١/١.
(٢) ينظر: خديجة مكي، الأساليب البلاغية في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، ٤٦.
(٣) الرازي، التفسير الكبير، ٩٠/١٣.

تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية، وهذا يدل على أن التقديم في الذكر يدل على مزيد الشرف، وإذا ثبت أنه في العرف كذلك وجب أن يكون في الشرع كذلك، لقوله عليه السلام: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن). فثبت أن تقديم الملائكة على الرسل في الذكر يدل على تقديمهم في الفضل"(١).

٣.العناية والاهتمام: قال تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا). يقول الرازي: "أنه تعالى لم يقل: وإحسانًا بالوالدين، بل قال: وبالوالدين إحسانًا؛ فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام"(٢).

٤.تقديم المقصود في الذكر: قال تعالى: (لَقَدْ وُعِدْنا هَذَا نَحْنُ وَآباؤُنا مِنْ قَبْلُ) [النمل/٦٨]. يوضح الرازي في هذه الآية الكريمة كيف يكون التقديم سبب في تبيان المقصود للذكر، فقد ذكر من خلال تفسيره لهذه الآية الفرق بينها وبين قوله تعالى: (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ) [المؤمنون/٨٣]. فيقول: "قلنا التقديم دليل على أن المقدم هو المقصود الأصلي وأن الكلام سيق لأجله، ثم إنه سبحانه لما كان قد بين الدلالة على هذين الأصلين، ومن الظاهر أن كل من أحاط بهما فقد عرف صحة الحشر والنشر ثبت أنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوها، وكان سبب ذلك الإعراض حب الدنيا وحب الرياسة والجاه وعدم الانقياد للغير"(٣).

ولعلنا نكتفي بهذه الأغراض والتي وضحنا من خلالها مفاهيم التوليد عند الرازي، وأن لكلٍ من التقديم والتأخير غرض يختص به دون غيره.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، ٤٣٨/٢.
(٢) الرازي، التفسير الكبير، ٣٢٣/٢٠.
(٣) الرازي، التفسير الكبير، ٥٦٩/٢٤.

الخاتمة:

خلص هذا البحث في تداوله إلى ثلاث نتائج، هي:

١.أن مفاهيم هذه الثنائية موجودة لدى علماء العربية في التّراث اللُّغوي.

٢.أن هناك اتفاق من حيث المفهوم، واختلاف من حيث التطبيق. فاللُّغة العربية ميزها الله سبحانه وتعالى بميزة البلاغة وبراعة النظم، فأي نسق من حيث التقديم والتأخير لا يشابه غيره في الدلالة والغرض.

٣.وجود مفاهيم هذه الثنائية عند الرازي، والتي طبقها من خلال كتابيه المحصول والتفسير الكبير.

وفي الختام آمل من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في طرح هذه الفكرة، والتي لا أدعي فيها الكمال ولا العصمة من الزلل؛ لأن الكمال لله وحده سبحانه والعصمة للأنبياء والرسل. هذا والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ط.١، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ -١٩٨٠م.
- ابن جني، الخصائص، ط.٤، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو بكر الأنباري، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أبي القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ط.٣، (دار النفائِس – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- أحمد مؤمن، اللسانيات: النشأة والتطور، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
- الجاحظ، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال–بيروت، ١٤٢٣هـ.
- الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط.٣، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، دار المعارف المعاصرة الجامعية الإسكندرية مصر، ط١، ١٩٨٥.
- حماسة عبد اللطيف، الأنماط التحويلية في النحو العربي، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى لعام١٩٩٠م.

- خديجة مكي، الأساليب البلاغية في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر، ٢٠١٦ – ٢٠١٧م.
- خليل عمايرة، نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق) ، دار المعرفة للنشر– جدة.
- الرازي، التفسير الكبير، ط.٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: د. صفوان عدنان داوددي، ط.١، دار القلم، دمشق. كتاب السين، لفظ (سما).
- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ط.١، دار صادر – بيروت، ١٣٧٦.
- سليمان العايد، توظيف الكفاية والأداء في تدريس النحو العربي: الرتبة والمطابقة نموذجا، قدم للمؤتمر الدولي للغة العربية، الجامعة التربوية في باندوج إندونيسيا، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- عبدالحميد النوري عبدالواحد، الدال والمدلول، مقال منشور في شبكة الألوكة الأدبية واللّغوية، ٢٠١٨/٤/٢٤م.
- عبده راجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، الناشر: دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧٩م.
- عمر دومي، قواعد النحو التحويلي بين نعوم تشومسكي والنحو العربي، رسالة ماجستير ١٩١٧م– جامعة محمد بوضياف.

- الغزالي، أبو حامد محمد الطوسي، معيار العلم في فن المنطق، تحقيق: د. سليمان دنيا، ط.١، (دار المعارف – مصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م).
- فخر الدين الرازي، المحصول في علم الأصول، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، ط.٣، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ط.١، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.
- مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، بحث منشور في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الأدب والفلسفة، العدد ١٣، عام ٢٠١٥م.
- مصطفى غلفان، "في طبيعة اللسانيات العامة: أوليات منهجية"، مجلة فكر ونقد، (المغرب)، العدد ٩٦، (٢٠٠٨).

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٤٧٣
٢-	Abstract	٣٤٧٤
٣-	المقدمة	٣٤٧٥
٤-	أبرز المصنَّفات العربية الحديثة ذات الطابع التحويلي والتوليدي:	٣٤٧٨
٥-	التمهيد:	٣٤٧٩
٦-	المبحث الأول: تاريخ ظهور النّحو (التّحويلي والتّوليدي).	٣٤٨١
٧-	المبحث الثاني: مفاهيم هذه الثنائية عند علمائنا في التراث اللُّغوي.	٣٤٨٧
٨-	المبحث الثالث: مفاهيم هذه الثنائية عند الرازي.	٣٤٩٢
٩-	الخاتمة:	٣٤٩٦
١٠-	قائمة المصادر والمراجع:	٣٤٩٧
١١-	فهرس الموضوعات	٣٥٠٠